ĪQĀN-Vol: 03, Issue: 02, Jun-2021
DOI: 10.36755/iqan.1332.2021-PP: 15-30

OPEN ACCESS
ĪQĀN
pISSN: 2617-3336
eISSN: 2617-3700
www.iqan.com.pk

جماليات الإيقاع بالبنية الصوتي في القرآن

Aesthetics of the Phonemic Structure in the Quran

***Dr. Lubna Farah** <lfarah@numl.edu.pk>
Assistant Professor, Department of Translation,
National University of Modern Languages, Islamabad, Pakistan.
****Rahim Ullah** <raheem.ullah@numl.edu.pk>
Lecturer, Department of Islamic Studies,
National University of Modern Languages, Islamabad, Pakistan.

VERSION OF RECORD
Received: 09-Mar-21; **Accepted**: 01-Jun-21; **Online/Print**: 30-Jun-21

ABSTRACT

Phonetics have utmost importance in linguistics especially in the study of the Quran because it addresses the human being in such a unique linguistically sound the perfect way that whoever reads or listens to the Book of Allah abruptly finds an exceptional harmonization, beauty, and relief that is never felt while reading some book written by the man. There is no doubt that the listeners are spell-bound by the phonetics and the aesthetic phonemics of the Quran and most of them (who have been elevated by the Guidance of Allah) would be not only convinced with the very message of the Quran and eventually converted to Islam also. As far as the research methodology is concerned, a descriptive method has been adopted for the said research paper as this method deems appropriate for such topics and analyzing them briefly from all possible aspects. This research paper has discussed the aesthetic phonemic structure of the Holy Quran, especially focusing on the verses related to Moses (PBUH) and some of the main findings can be summarized as follows: The aesthetic phonetic structure of the Quran does have a definite effect on every human and each word of Quran with its specific phonetic force attracts the speaker and listener at the same time. Therefore, it can be concluded that Quran being the word of Allah leaves a very well-synchronized impact on human being.

***Keywords**: Voice, Sound System, Rhythm, Music, Phonetic.*

CC BY

مَجالُ البَحث:

إن صوتية اللغة تختلف بطبيعتها عن باقي الرموز اللغوية وغير اللغوية حيث الصوت يأخذ مادته الخام على اعتباره وحدة متمايزة، بالخصوص إذا كان هذا صوتا قرآنيا، والصوت إذا كان للشخصية القرآنية فيكون متناسقا ومنسجما من الناحية الدلالية عن طريق الصوت الحكائي ويتخذ أشكالاً متنوعة حيث تجمع براعة التشكيل اللغوي وجمال الجرس الإيقاعي، فالبنية تنطوي على البناء والتشيد، وهي تدل على هيئة الشي وشكله. النص القرآني يحمل في عوامله الصوتية تأثيرا يكون سلبياً أو إيجابياً حيث تتمثل الملامح التمييزية لأصوات النص مثل الجهر والهمس والتكرار والتفخيم، وغيرها. وتعد دراسة المقاطع الصوتية من الدراسات الحديثة، حيث يقسم الكلام لوحدات صوتية مختلفة تتباين كمياتها بتباين إيقاعها على النفس وتعد المقاطع الصوتية الحجر الأساسي في علمي العروض والأصوات، وهي شأنها شأن الإعجاز الذي أعجز أهل اللغة للإتيان بمثله. وقد نشأت الصوتيات العربية في أحضان لغة القرآن الكريم، والورقة البحثية تسعى للتركيز على التحليل الصوتي وجمال الخطاب القرآني وما تحدثه الإيقاعات الصوتية من العدول الذي ينتج عن التناغم النتاج عن أئتلاف الحروف. كان الخطاب القرآني مناسب لكل العصور، حيث كان منهج متكامل بسبب الخطاب الذي اشتمل عليه ولذا كان مواكباً للنهضة الفكرية والعقل الإنساني. سلك البحث نهج الوصفي للدراسة والتي تناسب مثل هذه الموضوعات لأنها تساعد على وصف الظاهرة وتحليلها. وقد وصل البحث عن الاستنتاجات التالية بأن التنغيم الصوتي يأسر السامع لأن العدول الصاعدة والهابطة لها موقع في الخطاب القرآني والتي تهدف السامع عبر المتكلم.

أهمية البحث:

لقد اجتهد الباحثون أنفسهم في معرفة أصل اللغات حيث اكتفوا بجمع الكلمات القديمة وقارنوا بينها، وتوصلوا إلى أن اللغة العربية أكثر اللغات احتفاظاً بالقديم.[1] ولغة الخطاب القرآني تشكل الأساس في بنائه النصي حيث يمتلك دلالات إيحائية تعد الظلال الذي تلقيه الكلمات القرآنية وهي ترسم صورة النص في ذهن القارئ. اللغة لا تعيش على ألسن الناس عناصر صوتية مبعثرة، لكنها تكون كلاماً حياً، وهي تتألف وفقاً لنواميس صوتية خاصة، ولها عناصر بالإضافة لتشكيلها ووظيفتها الجمالية، والوظيفة الصوتية الجمالية تندرج الورقة البحثية. اللغة تتكون من أصوات وهي تتمثل في الأصوات التركيبية والفونيمات والمقاطع الصوتية، والمقاطع الصوتية لها تأثير جمالي. وتختلف الأصوات في تأثيرها على بناء النص، والمتلقي للنص وتكون على أساس نوعين: داخلية وخارجية.

الخارجية تكون تحت سيطرة الكاتب وهو يتحكم في البنية الصوتية. ونصوص القرآن الكريم استثارت العقل البشري إذ تفرد القرآن بسمات ميزته عن النصوص العادية فكان نسيج وحدة بلاغة النظم والصياغة.وخطاب القرآني يمتاز بتشكيلية تستند في الأساس للبناء النصي المؤلف من مجموعة أفكار وصياغات والتي تمتلك دلالات إيحائية تعد الظلال الذي تلقية في النص ويصيغه الآذان يصظل فيه ولا يلمحه البصر.

وجاءت كلمة البنية بمختلف الحقول المعرفية وكانت الأساس في الفكر اللغوي الحديث، وجل المعاجم العربية يتفق على ربط مفهوم التشيد بالبناء والبنية مع وجود تفاوف خفيف في تفاصيلها، فيقول ابن فارس:

''الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه لبعض، أي تقول: بنيت البناء أبنية''[2]

وبهذا ميزنا الفرق بين البنية والبناء، (البنية) نعت يدل على الهيئة المنظمة للعناصر داخل البناء، وتُجمع على بنى وبنى وبنيات. ومن الطريف قد نجد بأن كلمة "بنية" تستخدم في النقد القديم حيث يستعمل قدامة بن جعفر بنية الشعر :

"بنية الشعر على ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال"[3]

نعلم أن الخطاب القرآني نزل ليعجز البشر حيث كانت ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب مع ذلك فتنهم. فكلمة "خطاب" ورد استعمالها في اللغة العربية بوضوح ووردت في القرآن الكريم كمصطلح علمي جاء في قوله تعالى:

" وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "[4]

القرآن ليس ألفاظاً وعبارات جوفاء، بل معانٍ وإيقاعات نجدها تتحد فيما بينها لكي تحقق ذلك الجمال الإيقاعي البديع، حيث الصوت آلة اللفظ على حد قول الجاحظ.[5] ونرى الطبري في مقدمة يفسر الخطاب القرآن قائلا:

"إنه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحدا من خلقه، إلا بما يفهمه المخاطب، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولا برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه، لأن المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه فحاله قبل الخطاب، وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء، والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة، لمن خوطب أو أرسلت إليه"[6]

تساؤلات البحث:

تأتي أهمية البحث من ناحية علم الأصوات ومن ناحية تحليل النص الصوتي.

تنشأ التساؤلات أين تكمن جمال الخطاب القرآني؟

ما تحدثه الإيقاعات الصوتية من العدول؟

ستدرس الورقة البحثية جمالية الصوت القرآني من جهة والتأثير الصوتي لألفاظ القرآن من جهة أخرى.

منهجية البحث:

تتبع الورقة البحثية المنهج الوصفي في وصف البنى الصوتية للكلمات القرآنية ومختلف الظواهر التركيبية لها.

يختتم البحث بخاتمة تلقي الضوء على النتائج المتوصل لها.

البنية الصوتية في القرآن:

اللغة مجموعة من الأصوات، تتألف في نسق لكي تعبر عن أفكار إنسانية، حيث ترمز لمحسوسات موجوده تعيش في المجتمع، اللغة العربية تعتبر أثرى اللغات السامية وأكثرها حظا من ناحية عنايتها بالمستوى الصوتي، لأن ذلك له صلة قوية بتلاوة القرآن الكريم وترتيله، نجد الباحثين قديما وحديثاً أعطوا اهتماما لدراسة الأصوات العربية من جميع نواحيها التشكيلية والصوتية بالخصوص، ومدى الزمن الذي يستغرق كل صوت لإحداثه وذكرت الصفات المشتركة في الأصوات بصفة خاصة.[7] الصوت اللغوي يشكل العنصر المهم في تركيب الكلمة وبناءها وباختلاف تركيب الأصوات تختلف الكلمات وتتنوع حيث أجمع اللغويون على أن الأصوات لها قسمان، صوامت وصوائت.ومن بعض العلماء من يرى أن:

"الحروف لا حياة لها مستقلة وتختلف تركيب الحروف باختلاف الكلمات"[8]

الصوت لها أثر سماعي يصدر طواعية أو اختياراً من مجموعة أعضاء النطق، ويشير الجاحظ قائلا:

"الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولا تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت.."[9].

للصوت دلالة لغوية، ودلالة إصطلاحية:

الصوت يعرف لغة: "من صات يصوت صوتاً، فهو صائت، حيث قال ابن السكيت: الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل الصيت هو شديد الصوت".[10] وعرف إبراهيم أنيس الصوت في الاصطلاح بقوله:

"الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها، فكل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، وقد لا تُدرك بالعين في بعض الحالات"[11]

الخطاب في القرآن:

الخطاب "Discourse" بلاغة الخطاب تتجه لأن يكتسب طبيعة كلية شاملة، تتجاوز الصبغة الجزئية التي كانت مسيطرة

لدى القدامى، حيث ان يحوى النص من منظور علمي، حيث تساعد على التقاط الأبنية الخطابية وتحليلها بتقنيات محدثة[12].

وتحول البلاغة من المعرفة الكلية للعلمية نابع من تغيير أسلوب التفكير ورصد الظواهر ودراسة أبعادها الجمالية وتفسيرها. وبلاغة الخطاب القرآني كما جاء في لسان العرب لابن منظور من "بلغ" أي حسن الكلام فصيحه ومادة "خطب" خاطب بالكلام مخاطبة كما في قوله تعالى: "وشددنا ملكه واتينه الحكمة وفصل الخطاب"ومن الناحية الاصطلاحية الخطاب هو "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" فالملاحظ أن مدار الخطاب هو التواصل وهو وسيلة تعمل على تحقيقه اللغة. الخطاب باعتباره كلاماً لها عناصر المرسل، المستقبل أو الجمهور، والهدف والموضوع.

تأليف الأصوات بالخطاب القرآني:

الأبنية اللغوية للكلمات العربية لها فلسفتها الخاصة، خاض العلماء في هذا الميدان وأصدروا المعاجم المحتوية لقواعد البناء في العربية.[13] من أهم الأبنية الصوتية للعربية مع التمثيل كالتالي:

ميز الخليل بين الأصوات الصامتة والصائتة، ولديه كل صوت مدرج منسوب حيث القاف والكاف صوتان لهويان لأن مبدأهما من اللهاة، والهاء والحاء والخاء والغين حلقية.[14]

وابن جني عني بالأصوات حيث ذكر بمواضع عدة ألفاظ مختلفة كالتركيب والمجاورة، والمزج والتأليف والإجتماع.[15]

حدد ابن منظور العلاقات الواقعة بين الحروف في التركيب العربي، واعتبر القرب والبعد، ورأى أن لها سراً في النطق يكتشف لدى المتمعن[16]، فنرى تكرار الأصوات المجهورة مثل "الذال والدال والراء" يكون لها وقعه قوية ومؤثرة كما في قوله تعالى: "**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا** "[17]

فالأصوات المجهورة تمثل بـ "الإنذار، والادعاء الكاذب". ونجد التكرار يفيد التأكيد المعنوي أي أن تكرار الصوت يؤدي لتكرار المعنى وتصويره ويقويه عند السامع ويكون مفيد للتنبية والتهديد جاء في قوله تعالى:"**قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا** "[18] أكثر الأصوات لدى العرب المستخدمة هي: الواو، الياء والهمزة ونرى قلة استخدامهم لحرف الطاء ثم الدال لثقلها على لسانهم.[19]

الإيحاء الصوتي في الخطاب القرآني لدى القدماء:

أشار علماء العربية القدامى لظاهرة الإيحاء الصوتي، كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من تحدث بهذا الصدد فقال: "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا: صرَّ، وصوت البازي توهموا فيه التقطيع فقالوا صَرصُر"[20]

تحدث فخر الدين الرازي عن التصوير الصوتي في تفسيره وقال: "إن الإنسان عند الراحة أو الوجع قد يقول: أخ، وعند السعال قد يقول: أح فهذه أصوات مركبة، ومؤلفة تدل على معانٍ مخصوصةٍ لكن لها دلالتها على مدلولاتها بالطبع لا بالوضع". [21]نجد كثيرا من الألفاظ لها إيحاءات صوتية متناسبة ولها معاني يستطيع السامع من خلالها أن يتصور في ذهنه ويفهم عند سماعه لها عن الشخصية، القرآن يختار للسياق لفظة تكون مناسبة معناه، حيث الألفاظ القرآنية إيحاءات قوية مبثوثة عبر الأصوات والحركات حيث تكون مناسبة لها في الشدة والهمس والرخاوة والجهر"[22]

الإيحاء الصوتي في الخطاب القرآني لدى المحدثين:

أشار محدثوا العصر الحديث للتصوير الصوتي فنجد إبراهيم أنيس يقول:

"كثير من ألفاظ اللغة تلخط تلك الصلة بينها وبين دلالاتها"[23]

الأصوات والبنى الصوتية لها أهمية حيث أنها تساهم في تشكيل المعنى وتضيف طابع إيقاعي من تردد لصوت معين في موقع بعينه، فإيحاء الصوتي في سياق الفرح يغاير نظيره في سياق الحزن وكذا الوعد والوعيد. ولا تدرك جمالية الإيحاء ولا تاتتاتي من الإيقاع الخارجي فقط، وإنما تتجاوز ذلك للإيقاع الداخلي للنص الحامل لشحنات شعورية لسيياق النص المعبر عن مضمون النص ودلالته. يقول الرافعي:

"إن لكل لفظ صوتا ربما يشبه موقعه من الكلام من طبيعة المعنى الذي يساق فيه الجملة"[24]

ويضيف قائلاً:

"إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب ولا تساغ، وربما كانت أوكس النصيبين في الكلام، ونرى الحرم والكلام في القرآن لها شأناً عجيباً، وهي تكتنف بضروب النغم الموسيقي وتخرج وكأنها أعذب شيء وأرقه"[25]

اللفظ يستدعي الصورة الذهنية، والصورة تنوب عن الشيء نفسه، وهذه الحقيقة قررها النص القرآني منذ القدم حيث نجد المحدثون يشيرون إلى أن القدرة الانفعالية للألفاظ هي تشير للمعنى. سيد قطب يتحدث عن التصوير الصوتي ويقول: "قد يستقل لفظ واحد برسم صورة شاخصة، لا بمجرد المساعدة لإكمال معالم الصورة الأخرى، وهي أبعد من الخطوة الأولى، وأقرب للقمة في التناسق، خطوة تزيد من قيمتها لفظاً مفرداً وهي ترسم الصورة تارة بجرسة في الأذن، وترسم ظله في الخيال".[26]

إن موسيقى الصوت لها وقع في الأذن وأثر عند المتلقي تساعد على تنبية الأحاسيس في النفس الإنسانية، فنجد معطيات الدلالة الصوتية: "تستمد من طبيعة الأصوات نفمتها وجرسها".[27] وإستقلالية كل كلمة بحروف معينة، تكسب الكلمة صوتاً ينفرد عن الآخر من الكلمات التي تؤدي المعنى لذاته، وإن كان المعنى متحدا، لكن له استقلاليتها الصوتية، وهي تشكل في القرآن واقعا خاصا يتجلى بكلمات مختارة، تكونت من حروف مختارة، وهي السمة التي يتماز بها القرآن في التراكيب الصوتية.فلدلالة الفزع نجد القرآن استخدم الألفاظ تتناسب مع أصدائها حيث توحي لأدلتها من جنس صياغتها، مثلا الفزع والشدة والخصام والصرخة والصيحة كلها للفزع قال تعالى:

"وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ"[28]

وطلب الإغاثة والفزع والنداء للنجدة يقول تعالى:

"مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ "[29]

وهنا الصريخ لطلب الإغاثة وللأنقاذ فلا أحد يغيثهم. ونجد الشدة في لفظ "صرخ" حيث توحي بالإيقاع فقوله تعالى:

" ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ "[30]

كلمة المشاكسة تعني المخاصمة والعناد وهي جمعت في المعنى النزاع المستمر، والجدل القائم.

نجد القرآن استخدم كلمة "كب" التي تعني إسقاط الشي على وجه فنرى في قوله تعالى:

" أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "[31]

كان الوجهة مكبوب على العمل، وتعني الهوي بشدة لسوء العمل فقال تعالى:

" فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ "[32]

هناك الألفاظ التي تدل على التشديد والمد نجد القرآن يستخدمها منها: الحاقة، الطامة، الصاخة جاءت خالية عن التعريف تشمل المعنى في مضمونها. لأن الضغط الصوتي والأداء الجهوري لسماع رنتها نجده متوافقا مع مفهومها. نعلم الحاقة هي من أسماء القيامة لأنها تحوق وهي حاقته أي تقع بصدق. ولأنها تحق لكل إنسان قوله تعالى:

" فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ "[33]

الصاخة هي الصحية في الأذن وتكون في الأذن بشدة. وكذلك الطامة هي تطم على كل شيء، لأنها تعلو على كل شيء وتنهي فقال تعالى:

" فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى "[34]

هي يقصد بها القيامة لأنها تكون فوق كل داهية عظمى وطامة. ونرى كلمة "كآفة" تشمل الأجناس المرئية غير المرئية وتدرك ما لا تدركه العين لذا نجد في قوله تعالى:

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا "[35]

حيث رسالة محمد لم تختص بزمنية محددة وكانت عالمية وكانت منقذة للعالم أجمعه.

الصيغة الصوتية الفردية:

الصيغة الفردية تكون دائما تهز الإعماق وتبعث الصوت لتحرك الجذور وهي تثير الوجدان فنجد كلمة القارعة، الراجفة، الغاشية، الواقعة بها دلالة منتزعة وتدل على حقيقة نازلة واحدة. قال تعالى:

" إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ "[36]

قال تعالى:

"فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ "[37]

الواقعة هي النازلة الشديدة يقول الراغب: "الوقوع والسقوط بشدة ولا تقال إلا في المكروه والشدة، وتدل على العذاب الشديد[38]. الواقعة اسم يوم القيامة.

القارعة: القرع بشدة وهي اسم ليوم القيامة قال تعالى:

" كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ "[39]

وهي تدل على شدائده، وقوارع القرآن لشدة لذا يقال من قرآ آية الكرسي لم تصبه قارعة.

وقال تعالى:

"القَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ"[40]

ويقول الطبرسي بأنها سميت بالقارعة، لأنها تقرع القلوب وتخويفهم والقارعة سميت بهذا الاسم لأنها تقرع القلوب بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب.[41] حددت الكلمة الأولى "القارعة" التي تبدو من خلال السياق كقذيفة تلقى بجرسها الصوتي الرهبة والخوف في النفوس ونجد الصعوبة في لفظ كلمة "ضيزى" تضمن أسرارا في نقل المعنى وفي سياقها واستعمالها فقال تعالى: "أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى "يقصد بها ناقصة وجائرة وكانت الغرابة اللفظية هي أشد الصعوبة في النطق حيث توحي بإحساس غريب ناجم عن ثقل التلفظ وصعوبة الانتقال وذلك تصويرا للقسمة الغريبة حيث جعلوا الملائكة بنات الله.

مفهوم القصة:

لايمكننا أن نظن أن أحدا يمكنه الإنكار أو أن التماري في أن القصة القرآنية قد حضيت بالاهتمام البالغ والعناية الشاملة والحفاوة الكبيرة من قبل المفسرين والشراح والمؤرخين، كما ظفرت بالقسط الوافر من مجهودات الدارسين والأدباء المهتمين، وفازت بعصارة فكر الباحثين المختصين في كثير من المجالات. القصة القرآنية لها مكانة متميزة ومنزلة متفردة في الخطاب القرآني ككل من حيث الكم ومن حيث الكيف، من حيث الموضوع ومن حيث العرض، من حيث المضمون ومن حيث الشكل، من حيث المعنى ومن حيث المبنى، فهي ذات خصائص ومميزات على المستويين الكمي والكيفي. وأما من حيث الكم فإنه يظهر جليا شغلها لمكان شاسع على خريطة النص القرآني، واستيلاؤها على مساحة واسعة وأكثر من غيرها من المواضيع التي يزخر بها الكتاب العظيم[42]. أغلب العلماء يرى أن القصص القرآنية تشتمل على أنباء القرون الأولى في حين البعض يرى أن الحوادث محيطه بالدعوة الإسلامية، لكنهم يجمعون على أن القصص "علم التاريخ الإصطلاحي لا يمكن أن يأتي بحقيقة تخالف ما جاء في قصة من القصص المذكورة بالقرآن الكريم".[43] يمكن القول بأن القصة القرآنية استطاعت أن تحصل على ما يقرب من ربع القرآن الكريم كما جاء في القرآن الكريم: " فَاقْصُصِ الْقَصَصَ" وطبقا لما ذكر القصة القرآنية هي: أنباء وأخبار لأمم وأحداث وقعت في الماضي بدء من الخلق وحتى نزول القرآن وتعرضها بشكل مشوق مثير لا نظير له في أساليب معهودة.[44]قصة هي خبر فعند ما نقول قص على خبر وتتبع أثرا كما في الآية: " **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**" [45]

الشخصية في القصة القرآنية:

الشخصية في القصة القرآنية تعد من أهم العناصر، وتصوير الشخصية بعالما التربوي والنفسي يعتبر أهم الأبعاد في القصة، القرآن يبرز العناصر القصصية، حيث ينفر من الشخصية الشريرة والاستئناس للشخصية الخيرة، ويبرز أهم ملامحها التاريخية، ويكشف ميزات الشخصية ومواقفها التربوية. الشخصية هي المحور التي تدور في دائرته عمل القصص فيتناولان نقطة الارتكاز والتجمع فيكون الشخص وغلبة الشخصية على الحدث هو المحرك الأساسي في القصة القرآنية، تأتي الشخصية القرآنية بارزة، في حين يذكر أحياناً الأسماء ولاتذكر في بعض الأحيان، الشخصية القرآنية تعبر عن الإنسان بكله، حيث ذكرت القصص أسماء بعض الشخصيات منهم، إبراهيم، موسى وفرعون وغيرهم، ويعرض القرآن الشخصيات وحركاتها ويقصد بها التفكير في تلك الشخصية، ويكون المراد من سياق

القصص القرآنية لتكون نماذج للبشرية للاقتداء بها. أن المنطق للقصة القرآنية تتناول الشخصية من موقف ما حيث "تضع القصة القرآنية أمامنا معالم الشخصية التي تحرك وتتمحور حولها الأحداث".[46]

اشتملت القصة القرآنية على كثير من الشخصيات المنتمي بعضها لعالم الغيب مثل "الملائكة فلهم حضور ومشاركة في قصة آدم وبعض المشاهد بقصة مريم وزكريا وفي قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه الملك وغيرها من الشخصيات".[47]

كان القرآن الكريم واقعياً في اختياره لعناصر الشخصيات التي ذكرها، حيث كثر الحديث عن الأنبياء المعروفين، وذكر قصصهم، تحدث عن موسى ونوح والظروف القاسية التي عاشوا فيها، وذكر قصص أيوب ويونس لغرض تصوير الأشخاص لأخذ العظة والعبرة.

أنواع البنى في القصة القرآنية:

الخطاب القرآني يتميز بشكلين للبنية القصصية:

القصة المغلقة: وهي التي لم يتكرر سياقها السردي خارج تلك السورة، وقد وردت منها قصة يوسف، قصة سليمان وملكة بلقيس، ومنها قصة أصحاب الكهف أي قصة الجنتين، وذي قرنين.

القصة المفتوحة: وهي التي تتعلق بالسيرة النبوية، التي ترد في أكثر من سورة وبتنويعات إخبارية وسردية حيث تتجدد كثيراً وقليلاً وتكون متكررة في أكثر من موقع قرآني .[48]

الإيقاع الصوتي في القصة القرآنية:

قصة مريم حيث " **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى...**"[49]. فكلمة وَضَعَت برفع التاء هَذَا الْكَلَام أَنَّهَا لَمَّا قَالَتْ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى خَافَتْ أَنْ يُظَنَّ بِهَا أَنَّهَا تُخْبِرُ اللهَ تَعَالَى، فَأَزَالَتِ الشُّبْهَةَ بِقَوْلِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَثَبَتَ أَنَّهَا إِنَّمَا قَالَتْ ذَلِكَ لِلاعْتِذَارِ لَا لِلْإِعْلَامِ. ويقصد به وَاللهُ أَعْلَمُ بِالشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَتْ. هو قول صريح في أن الله تعالى يبين أن الأنثى أفضل من الذكر إطلاقا، ويرى أن النحويين والفقهاء قالوا أن جملة (والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) ليست اعتراضية وأنها من قول امرأة عمران لينتج أن تفضيل الأنثى قولها هي وليس قول الله.

لقد ذكرت كلمة (الهُون) أربع مرات في الآيات القرآني ومنها "**يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**"[50]. أما (الهَون) فقد ورد في الاستعمال القرآني مرة واحدة في قوله: "**وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ**

الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا"[51]. "الهُون" بالضمة من الذل والتصغير و "الهَون" مصدر الهين من الوقار والسكينة، وكلمة الهُون إذلان للنفس الإنسانية لذا نجد الضمة الثقيلة تأتي ملائمة لثقل الإنسان، الفتحة في كلمة الهَون للين السكينة لما لها من خفة وسهولة في النطق.

قال تعالى: **" فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ"**[52]. استخدمت الآية الأصوات المجهورة وجميعها جاءت مفخمة في تتابع "الطوفان، الجراد، الضفادع، القمل، الدم" لكي توضح لنا ما أصاب قوم موسى عندما عصيانهم لنبيهم. نجد فيها الموسيقى المتسقة مع السياق حيث جاء التدقيم "الطوفان والجراد" على كلمة "الدم" وارتبت كلمة "القمل والضفادع" بالوسط ليطرق السمع لها، جاء كذلك مراعاة للجرس الموسيقي ومخارج حروف كل كلمة.[53]

ونجد في قوله تعالى:

" وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ "[54]

"فأوقد لي يا هامان" الكلمة تستخدم حروفاً مهجورة شديدة تعطي القوة عند النطق حيث الفاء حرف مهموس رخو وحرف الهمزة هو صوت شديد مجهور، والقاف صوت انفجاري إذن كلمة "فأوقد" تعطي الكلمة زيادة في الملائمة حيث تتكون من حروف شفوية وذلقية تعطي سهولة في النطق بالإضافة حرف القاف لا يدخل في الكلام إلا أحسنة.[55]

وفي قوله تعالى: **"فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى "**[56]. كلمة "دركا" و"يبساً" جاءت مجهورة رخوة سبقت "لا" "تخاف" حيث أن "لا" مجهورة رخوة فهي تعطي لنا وقعا قوياً تصور لنا ما وقع بين موسى جنود فرعون عندما تبعوا موسى في اليم حيث أغرقوا كلمة "تخاف" مهموسة من الصفات الضعيفة يتضح فيها بأن سبحانه وتعالى يقول لموسى لا تخف من ملاحقة جنود فرعون لك ولا تخش الغرق.

وفي قوله تعالى: "فغشيهم من اليم ما غشيهم" فنلاحظ تكرار كلمة "غشيهم" لتكسب الآية تعظيم حيث أن التكرار يكسب جمالية التي يتصف بها القرآن حيث تستميل إليه النفوس لجمال وقعه وخلوه من الابتذال، "فغشيهم" يقصد بها أصابتهم وغرقهم في نهر النيل فتوصل المعنى بالتهويل والتعظيم للنفوس وتكسب صياغة وطريقة بديعة.

نجد في سورة النجم قوله تعالى:

" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى "[57]

فنجد الإيقاع الموسيقي ويستمر في قوله تعالى: " **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** " نجد الإيقاع في كلمة "الأخرى، إذن" حيث ذكرتا لمجرد غاية موسيقية ولتحقيق الغاية المعنوية أيضاً[58]. فجمال الإيقاع الصوتي يتجلى ويتناسب مع المعاني واللمسات اللطيفة بالمقطع الأول.

الخاتمة والنتائج:

مع أن جميع الدّراسات والبحوث قج جعلت القرآن ليكون ميدانا للدراسات لكن مع ذلك نجد بأن كتاب الله سيبقى منهجا زاخرا للدراسة، وللبحث عن الدّرر الثمينة، والأسرار الدفينة، لأن كل آية من آياته وكلماته وحروفه لها معانٍ وإيقاع لتشهد بعظمه وإعجازه. ويتمتع الخطاب القرآني بأسلوب لغوي فريد فيجد من يتلو القرآن تناغم وجمال لا مثيل له، ومن خلال الإيقاع الصوتي وجدنا أن مفهوم الإيقاع يجمع الباحثين على الأثر الذي يحدثه في النفس، فالقارئ يخلق له جو عندما يتنقل من آية لآية أخرى ليشعر بما في ثناياها، فهو يلمس معانيها ويشعر بها. وإن المعاني يدركها السمع قبل إدراكها من العقل، ولاحظنا أن القرآن خلا من مظاهر التعقيد اللفظي والتنافر الصوتي، كما ركز على المقومات النحوية والمعجمية، مع مراعاة سلامة النظم وجمال الصوت، ووجدنا أن القرآن وظف صيغا تعبيرية تمتاز بإيقاعاتها الموسيقية. وأن للصوت اللغوي أهمية حيث إنه البنية اللغوية الأصغر في الكلمة، والتركيب بالجملة. ولها دلالة الصوت دائما التي تنشأ بداية من التراكيب وهي تتسم بقوة التأثير إنطلاقاً من سهولة الصوت وترتبط بالإحساس بالأذن والسماع. واستنتج من البحث أن الأسلوب القرآني أسلوب رفيع في مضمونه، وتفوق فيه على النثر والشعر. والإيقاع القرآني يعطي مسحة من الجمال تكون متناسبة مع المعجزة الربانية. وأن المقاطع الصوتية تقوم على مبدأ التناسب مما ينتج نغمة رقيقة عذبة. و التصوير الفني كان من أبرز التصوير والتعبير القرآني. ووجدنا أن الصوت والنغمة التي تعبر عنهما الآيات ينقلان الصورة لتجسد المعنى المعبر عنه.

@ 2021 by the author, this article is an open access article distributed Under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC-BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

[1] عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم (عمان: مكتبة الرسالة، 1981ء)، 31.

Abdul Jalil Abdul Rahim, *The Language of the Noble Qur'an* (Amman: Maktabah al-Risalah, 1981), 31.

[2] أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة (بيروت: دار الفكر، 1979م)، 1: 203

Ahmad ibn Faris, mu'jam maqāyīs al luhgah (Beirut: Dār al-Fikr, 1979), 1: 203.

[3] قدامة بن جعفر، نقد الشعر (الجزائر: مطبعة الجوائب، 1302هـ)، 17-

Qudamah bin Ja'far, *Naqd al-shi'r* (Algeria: Al-Jawaib Press, 1302), 17.

[4]الفرقان: 63

Al-Furqan: 63

[5] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ ، البيان والتبيين (بيروت: دار صعب، 1968م)، 1: 80-

'Umr ibn Al-Jahez, *Al-Bayan and Al-Tabiyyin* (Beirut: Dar Saab, 1968), 1:80.

[6]سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1998م)، 5.

Suleiman Tarsaria, a *Qur'anic discourse, a descriptive approach to the beauty of the miraculous narration* (Algeria: Bureau of University Publications, 1998), 5.

[7] عبد القادر عبد الجليل ،التنوعات اللغوية (الأردن: دار الصفاء، 1997م) ، 147.

Abdul-Qader Abdul-Jalil, *Linguistic Diversity* (Jordan: Dar Al-Ṣafā, 1997), 147.

[8] علي عبد الواحد وافي، فقة اللغة (مصر: دار النهصة، 1968م) ، 249.

Ali Abdul Wahid Wafi, *Philology* (Egypt: Dar alnahdhah, 1968), 249.

[9] الجاحظ، البيان والتبيين، 79.

Al-Jahez, *al-Bayan and al-Tabiyyin*, 79.

[10] ابن منظور، لسان العرب(بيروت: دار صادر، 1992م)، 3 :202.

Ibn Manzoor, *Lisan Al-Arab*, (Beirut: Dar Sader, 1992), 3:202.

[11] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية (مصر: مكتبة نهضة)، 5.

Ibrahim Anis, *Linguistic Voices* (Cairo: Maktabah Nahdhah), 5.

[12]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (مصر: المجلس الوطني، 1992)، 8-9

Ṣalaḥ Fadhal, *Balaghah al Khitāb wa 'ilm al nuṣṣ* (Egypt: al-majlis al-waṭni, 1992), 8-9.

[13] الخليل الفراهيدى، مقدمة العين (مصر: دار الهجرة، 1409ه)،1: 47.

Al-Khalil al-Farāhīdī, *Muqaddimah al-Ain* (Egypt: Dar al-Hijrah, 1409), 1:47.

[14] عبد الواحد حسن الشيخ، التنافر الصوتي والظواهر السياقية(السودان: مطبعة الإشعاع الفنية، 1999م)، 1 :58.

Abdul Wahid Hassan Al-Sheikh, Phonological dissonance and contextual phenomena (Jordan: Matba' al-ishā' al-fanniyah, 1999), 1:58.

[15] عثمان بن جني، سر الصناعة والنشر(بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)، 2 :277-

Uthman Ibn Jinnī, *The Secret of Industry and Publishing* (Beirut: Dar al-Kitāb, 2000), 2:277.

[16] ابن منظور، لسان العرب، 1: 8.

Ibn Manzoor, *Lisan al-Arab*, 1:8.

[17] الكهف: 4

Al-Kahf, 4.

[18] الكهف: 87

Al-Kahf, 87.

[19] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، 64

Ibrahim Anīs, *Linguistic Voices*, 64.

[20] عثمان بن جني ، الخصائص (مصر : دار الكتب)، 2 : 152.

Uthman Ibn Jinni, *Characteristics*, (Egypt: Dar al-Kutub), 2:152.

[21] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (بيروت: دار إحياء التراث، 1938م) ، 1 :18

Fakhr al-Din Al-Razi, *Al-Tafsir Al-Kabeer* (Beirut: Dar al-Ihya al-turath, 1938), 1:18.

[22] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (دمشق : دار ابن كثير، 1407هـ) ، 2 :911

Jalaluddin Al-Suyuti, *Al-itqān fi 'ulūm al-Qur'an* (Damascus: Dar ibn e kathīr, 1407), 2:911.

[23] أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ (القاهرة: مكتبة الأنجلو ، 1985م) ، 66

Anis Ibrahim, *The Indication of Words* (Cairo: Maktabah Al-Anjlū Al-miṣryyah, 1985), 66.

[24] مصطفي صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م) ،215

Mustafa Sadiq Al-Rafi'i, *The Miracles of the Qur'an and the Prophetic Rhetoric* (Beirut: Dar Al-Kitaab Al-Arabi, 1990), 215.

[25] ايضاً، 227

Ibid., 227.

[26] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم (مصر: دار الشروق، 1993م) ، 37

Syed Qutb, *Artistic Photography in the Holy Qur'an* (Egypt: Dar Al-Shorouk, 1993), 37.

[27] إنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ، 46

Anis Ibrahim, *The Meaning of Words*, 46.

[28] فاطر: 37

A-Fāṭir, 37.

[29] إبراهيم: 22

Ibrahim, 22.

[30] الزمر: 29

Al-Zumar, 29.

[31] الملك: 22

Al-Mulk, 22

[32] النمل: 90

Al-Naml, 90

[33]عبس: 33

'Aabas, 33

[34]النازعات: 34

An-Nazi`at, 34.

[35]السبأ: 28

Al-Sabā, 28.

[36]الواقعة: 1-2

Al-Waqi`ah, 1-2.

[37]الحاقة: 15

Al-Haqqah, 15.

[38] ابن منظور، لسان العرب، 10 :285

Ibn Manzoor, *Lisan al-Arab*, 10:285.

[39] الحاقة : 1-3

Al-Haqqah, 1-3.

[40]القارعة 1-3

Al-Qarah, 1-3.

[41]النجم: 21-22

An-Najm: 21-22

[42]فضل بن حسن الطبرسي، مجمع البيان (بيروت: دار المرتضىٰ، 2006م)، 5 :532

Fadhal ibn Hasan Al-Tabarsī, *Majma' al-Bayan* (Beirut: Dar Al-Murtadhā, 2006), 5: 532.

[43] محمد الغزالي، نظرات في القرآن، (مصر: دار نهضة، 2005م)،101-

Muhammad al-Ghazali, *Naẓrāt fi al-Qur'an* (Egypt: Dar Nahdhah, 2005), 101.

[44] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني منظومة ومفهومة (القاهرة، دار الكتاب، 1956م)، 40.

'Abd al-Karim al-Khatib, *Al-qiṣaṣ al-qu'rānī manẓomohu w mafhūmhū* (Cairo: Dar al-Kitāb, 1956), 40.

[45] آل عمران ، 62

Al-Imran, 62.

[46] محمد التوينخي، المعجم المفصل في الأدب (بيروت: دار الكتاب العلمية، 1993م) ، 48

Muhammad al-Tuwankhi, The Detailed Dictionary of Literature, (Beirut: Dar Al-Kitab Al-'Almiyyah, 1993), 48.

[47] أحمد الفحولي، القصة في القرآن الكريم (طنطا: مكتبة الأزهر الحديث) ، 285

Ahmad Al-Fahuli, *The Story in the Holy Quran* (ṭnṭā: Al-Azhar Library), 285.

[48] سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقارنة توضيحية لجمالية السرد الإعجازي (دمشق : دار العراب، 1998م)، 70

Suleiman Ashhati, *The Qur'an Discourse, an Explanatory Comparison of the Beauty of the Miraculous Narration* (Damuscus: Dar al-'Arāb 1998), 70.

[49] آل عمران :36

Al-Imran, 36.

[50] سورة النحل: 59

An-Naḥl, 59.

[51] سورة الفرقان:63

Al-Furqan, 63.

[52] الأعراف: 133

Al-A'raf, 133.

[53] ضياء الدين الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر(القاهرة: دار النهضة)، 169.

Zia Al-Din Al-Athīr, the proverb in the literature of the writer and poet, (Cairo: Dar Al-Nahda), 169.

[54] القصص، 38

Al-Qaṣaṣ, 38.

[55] صلاح الخالدي، القصص القرآني (بيروت: دار دمشق 1998م)، 54

Salah al-Khalidi, *The Qur'anic Stories* (Beirut: Dar Damascus 1998), 54.

[56] طه، 77

Ṭāhā, 77.

[57] سورة النجم 19-20

An-Najm 19-20

[58] سيد قطب، في ظلال القرآن، 6: 3404.

Sayyid Qutb, *Fī Zīlāl al qur'an*, 6:3404.